مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٨/١/٢٣

حقيقة فكر « بيجين » وراء العنصرين اللذين حاول « المفاوض الاسرائيلى » استغلالهما

● الوقت
● الأمن

كشف الرئيس السادات فى « حديث الحقائق » الذى خاطب فيه عقل العالم وفكره من خلال مجلس الشعب المصرى ، عن اتجاهين انفضح امرهما تماما ، لجات اليهما « القيادة الاسرائيلية » فى مفاوضات السلام ، اسرافا منها فى الثقة بقدرتها على ابتلاع « مبادرة السلام » المصرية بذكاء يدق على فهم الاخرين ، ويموه على ابصار الدنيا ، ويبقى على صورة اسرائيل فى العالم الراغبة ايضا فى السلام ، لولا تعجل المصريين ، وتمسكهم بتنازلات تهدد امن اسرائيل .

لقد عرى السادات هذين الاتجاهين اللذين يحكمان حركة « المفاوض الاسرائيلى » وهما : استغلال عنصر الوقت ، واستغلال اعترافنا باهمية الامن الاسرائيلى ..

ووراء هذين المنصرين اللذين قطعت القيادة السياسية فى مصر مفاوضات اللجنة السياسية فى القدس بسببهما الكثير من « المنطلقات » التى تحدد « فكر بيجين » و « الاساليب الديناميكية » التى تقود دائما — علنا او بالتمويه — حركته فى مواجهة اية محاولة لارجاعهم عن اى « شبر ارض » يصل اليه الجندى الاسرائيلى

□ فى محاولة استغلال عنصر الوقت :

حكى الكاتب الايرلندى « اسكين تشيلدرز » فى اكتوبر من عام ١٩٦١ من تجربة شخصية له مع دانيد بن جوريون ، يمكن أن تعطى تفسيرا كافيا لمحاولة قادة اسرائيل استغلال عنصر الوقت ، تغطية على الحقيقة ، واشاعة للادعاءات المضللة التى يعتقدون انها يمكن ان تستقر فى اذهان الغير بقدر ما يطول وقت ترديدها ، وبقدر النجاح — خلال اطول وقت ممكن — فى كسر كل محاولة لكشفها .

حدث — فى رواية الكاتب الايرلندى — ان وقف دانيد بن جوريون فى الكنيست ليعلن بالحرف « نحن نملك ادلة واضحة لا تقبل المناقشة تثبت ان الفلسطينيين غادروا هذه البلاد بناء على اوامر من الزعماء العربيين مقدمتهم المفتى » .. وكان الكاتب تشيلدرز فى زيارة لاسرائيل وقتها تلبية الدعوة من الخارجية الاسرائيلية ، وكان منطقيا ان يطلب الاطلاع على هذه الادلة الدامغة « التى لاتقبل المناقشة » وبالطبع لم يجد الاستجابة الفورية التى توقعها ، فالحرارة فى طلبه ، وكان ان ذهبوا به الى العالم الصهيونى « كوهن » الذى كان يعمل وقتها مستشارا لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، وكان بالنسبة لاسرائيل هو «العقل المفكر» للدعاية الاسرائيلية وقد تقدم له « كوهن » ذلك الدليل المنتظر .. وكانت المفاجأة : لم يكن يعدو مجموعة من المقالات المنشورة فى مجلة « الايكونومست » البريطانية فى عام ١٩٤٨ ، وعندما اطلع عليها الكاتب الايرلندى اكتشف للوهلة الاولى ان كاتبها هو « كوهن » نفسه .

وكان منطقيا ان يخرج تشيلدرز من التجربة الاسرائيلية بنفس « الدرس المستفاد » الذى خرج به من قبله — على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى رؤيته النقدية للمفاهيم الاسرائيلية — **كل من كريستوفر سايكس ، وآلن تايلور من ان الوثائق الصهيونية « تتميز بالمادة الصهيونية للتكلم ليس بصوتين اثنين فحسب ، بل باصوات متعددة مما يولد شهرة مستحقة عن جدارة بالكذب المزمن »**

« والدرس المستفاد » هنا يعيد نفسه مع المبادرة المصرية .. لقد راوا فى اسرائيل — وطائرة السلام تهبط برجل السلام فوق ارض القدس — ان يبهروا انظار العالم التى تتابع « حدث العصر » برؤية جديدة تماما لوجه اسرائيل العابس ، رؤية يجللها الاحترام الكبير لصاحب المبادرة ، والترحاب المدوى من كل قادة اسرائيل الحاليين والسابقين وقوفا فى شرف انتظاره ، ولا بأس ان تتناثر تصريحات التهليل بمبادرة السلام ، ونبذ عداوات الماضى ، ورغبة الاطمئنان نقط الى التخلى عن لهجة « القاء اسرائيل فى البحر » ، وتحولا الى ذلك كله يصبح « كل شىء قابل للمفاوضات » .

وهكذا تستطيب اسرائيل كل رضا

شعوب وحكومات العالم التى التفت حول « الشعلة المضيئة » ، وهكذا يبدأ « الاستقلال الخبيث » لعنصر الوقت الذى يمكن فى تخطيطهم — بعد فترة من خمود انبهار العالم بمبادرة السادات — أن يعلنوا أن « مفاوضات السلام » تحتاج الى خمس سنوات «حتى تجد حلا لكل المشكلات المعقدة»

ولو أن الرئيس السادات ، لم يكتشف فى الوقت المناسب ، مناورتهم فى استغلال عنصر الوقت لكان يمكن أن تدوم محاولتهم لخداع العالم ثلاثين عاما اخرى .

□ فى محاولة استغلال اعترافنا باهمية الامن الاسرائيلى

ان هذه المحاولة التى ظهرت بجلاء حطم كل الذكاء الاسرائيلى المتوهم ، والتى ترتد الى منطق الاطماع والتوسع ونظرية فرض الامن بالقوى العسكرية كما شخصها السادات بدقة ، ينبغى بالعقل أن ينظر اليها من خلال عقيدتين اسرائيليتين متزاوجتين بغير خصام بينهما

ـ عقيدة الارض : وهى التى يعبر عنها استخدام اليهود لمصطلح « ارتس يسرائيل » والذى يتعمدون به باصرار عن استخدام اى مصطلح آخر مثل كلمة « فلسطين » التى قد يشتم منها اى وجود تاريخى غير « يهودى » فان ادنى اعتراف يمثل هذا الوجود ينسف ادعاءاتهم من جذورها ويكسر بل قد يحطم « مقاومتهم الوجدانية » للواقع القائم فى ارض الميعاد ومن التعبيرات العديدة لقادة اسرائيل التى تعكس مدى تحول « الارض » فى العقل اليهودى الى فكرة لاهونية تفقد تماما الاعتراف باية ابعاد تاريخية ، تعبير لموشى ديان قال فيه « ان الارض هى ربى الوحيد » ، وتصريح شمير لبن جوريون قال فيه « ان من يعيش داخل أرض اسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا ، أما المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » .. ولكن ما هى هذه الارض التى يقصدونها ؟

حقيقة .. مخطىء من يظن انها فقط « ارض فلسطين » ، أو ارض الميعاد التى سيعود اليها اليهود تحت قيادة الماشيح ، وليست هى فقط الارض التى قطع الرب العهد لها مع ابراهيم قائلا كما جاء فى سفر التكوين : « لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات »

ان الفكر الصهيونى الذى يغذى المعتقدات الاسرائيلية ، وينحرك فى نفس الوقت على اساس استثمارها يتجاوز كثيرا هذه الحدود التى تتصورها « للارض » فى قناعاتهم ..

ـ وعقيدة الامن : انما تترجم بصدق « عقيدة الارض » الاسرائيلية ، وتتركز عليها فى كل منطلقاتها وتبلور الاستراتيجية العسكرية نظرية الامن الاسرائيلى فى اربع نقاط لاتحيد عنها ابدا باعتبار انها وحدها « الدرع والحصن » الذى لا يمكن أن يطلب منهم العالم التخلى عنه ، والا تخلوا عن رغبة البقاء .

والنقاط الاربع المقدسة عندهم تفرض :

- مبدأ التفوق والردع الذى يحتم تحقيق تمتع اسرائيل دائما بالتفوق العسكرى المطلق .
- مبدأ الحرب الخاطفة التى تتطلب التركيز على سلاح الطيران ونقل الحرب دائما الى ارض العدو
- مبدأ الحرب القصيرة التى لا تستنزف الموارد الاسرائيلية
- مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية وان كانت اسرائيل تسعى الى

تحقيق ذلك من خلال استغلال « علاقة » ممتازة لها ، اجتهدت لتنميتها وصيانتها مع دولة كبرى تضمن لها الامن

وفى اطار هذه الفلسفة — التى يحاولون اقناع الدنيا بها وقد نجحوا فى ذلك طويلا قبل حرب اكتوبر — تسقط فكرة الامن الاسرائيلية كل الحدود الجغرافية والحقائق التاريخية للاخرين ، بحيث صدق الاسرائيليون « الكذبة » التى غرسها قادة الصهيونية واصبح بيجين من غلاة الذين يعتقدون انه لا امن ، ولا حدود آمنه ، الا بالاستيلاء على ارض عربية ، خارج الحدود الاسرائيلية ، ولم يفيقوا ابدا الى الحقيقة التى تقول أن الانتصارات الاسرائيلية ، لا فى ٤٨ ، ولا فى ٦٧ قد حققت لهم الامن وحتى بعد نكبتهم فى مفاجأة يوم كيبور الحزين فى ٦ اكتوبر من عام ١٩٧٣ ، يبدو الان انهم لم يدركوا ايضا ، او بتعبير أدق لا يريدون ادراك الحقيقة .

ان « المفاوض الاسرائيلى » الذى يتحرك الان بفكر وقناعات « بيجين » مطلوب منه ان يظل دائما اسير الرؤية المتعفنة لحزب حيروت الذى يطالب منذ اسس فى عام ١٩٤٨ بعد اعلان قيام دولة اسرائيل ، بضرورة اقامة دولة « اسرائيل العظمى » على ضفتى الاردن داخل حدود اسرائيل العظمى « تاريخيا » وان كان هذا لا يمنع ابدا من امتداد حدود تلك «الدولة العظمى » الى ما يمكن أن تصل اليه قدم الجندى الاسرائيلى بغير تراجع عن شبر واحد مما يكتسب فى تلك « الحروب الدفاعية » فى زعم الفكر الصهيونى لرئيس وزرائهم بيجين .

وفى اطار كل هذه المفاهيم والمنطلقات الايدلوجية يمكن على الفور تفسير ما تقوله اسرائيل الان من أن « الانسحاب الكامل من الارض المحتلة الى حدود ٦٧ تهديد لامن اسرائيل » وان قيام الدولة الصغيرة الوليدة من شعب مشرد بلا أرض هو تهديد مدمر لامن اسرائيل ولم يشأ بيجين أن ينطق بحقيقة معتقدهم الذى ينكر اصلا وجود فلسطين « تاريخيا » وهو ما تبجحت مائير يوما وصاحت به علنا

محمد زايد